

حديث التقريب ... عشرة الفجر



حديث التقريب ... عشرة الفجر

في الأول من شهر فبراير عام 1979 أي قبل ثلاثة وأربعين عامًا عاد الإمام الخميني من منفاه إلى أرض الوطن ليبدأ العدّ العكسي لانهاية نظام الشاه، ولم تمض سوى عشرة أيام حتى أُعلن انتصار الثورة الإسلامية في إيران وانهار نظام الشاه نهائيًا، وسُميت تلك الأيام العشرة باسم «عشرة الفجر».

كان ذلك حدثًا تاريخيًا عظيمًا هزّ العالم، وغير كثيرًا من المعادلات السائدة في الساحة الدولية، ودبّ الأمل في نفوس الشعوب بشأن إمكان انتصار الدم على السيف وغلبة الحقّ على الباطل، وبشأن قدرة الشعوب على الوقوف بوجه مذلّيها ومنتهكي كرامتها.

ونقف بهذه المناسبة عند محطتين من آلاف المحطات التي تستحق كل واحدة منها أن نقف عندها طويلا

لنستخلص العبر والدروس التي تحتاجها شعوبنا اليوم وهي تواجه ألوان التحديات وتشقّ طريقها عبر أمواج من الفتن والمؤامرات.

المحطة الأولى

هي إن الشعب إذا أراد يومًا الحياة فلا بدّ أن تستجيب له كل سنن الكون والأقدار، فهذه مشيئة الله بأنه سبحانه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

الشعب ثار بيد خالية ضد أعتى نظام مسنود من أمريكا والغرب والكيان الصهيوني في المنطقة، ومجهّز بأحدث وسائل القمع، فحقق النصر المؤزّر، ثم سار بخطى متسارعة لتنفيذ شعاره الذي رفعه طوال أيام الثورة: (استقلال - حرية - جمهورية إسلامية) بعد الانتصار راهنت قوى الاستكبار والصهيونية على عدة أمور من أجل إحباط الثورة. منها إنّ الإمام الخميني وانصاره والشعب الملتف حوله سيكونون أمام نظام منفرط ولا يستطيعون إقامة النظام البديل القادر على إدارة أمور البلاد.

لكن الذي تحقق هو أن الإمام دفع البلاد بعد الانتصار إلى استفتاء تلو استفتاء وانتخاب تلو انتخاب ليقيم دولة كاملة الأركان قائمة على أساس إرادة شعبية دينية على مستوى متطلبات العصر.

ومنها إن الجيش المنفرط سيجمع قواه وينقضّ على الثورة ويقضي على رجالها، لكن هذا الجيش أعلن ولاءه للإمام ولقاده الجمهورية الإسلامية وأسدّى بفضل الله خدمات كبرى لإحلال الأمن والدفاع عن الثغور.

وراهنوا أيضًا على هجوم تشنه أمريكا بحجة إنقاذ رهائن السفارة الأمريكية السابقة وتقضي على مراكز اتخاذ القرار في الجمهورية الإسلامية، وفعلاً شنوا هذا الهجوم في ليلة ظلماء والناس نيام، ولكن عين الله لم تنم، فأرسل سبحانه على المهاجمين عاصفة رملية أسقطت طائراتهم في صحراء طيس وجعلتهم كعصف مأكول.

وراهنوا أيضًا على استغلال فرصة الطموح الجنوني لنظام صدام، فشجعوه على شنّ حرب على الجمهورية الإسلامية الفتية، وانزلق صدام في الفخّ الذي له نصبوه، وشن حربًا استمرت ثماني سنوات مّني فيها هو ومن ساندوه ودفعوه إلى هذه المحرقة بالخسران المبين، ثم شجعوه على أن يهجم على الكويت.. وكان ما كان من إبادة الجيش العراقي - مع شديد الأسف - على يد الأمريكيين المشجعين ثم إبادة العراق، وأخيرًا إيقاع صدام في حفرة وسلموه إلى حبل المشنقة.

وهذا ما أثار دهشة أعداء الأمة وخوّنهم من عودة الإسلام إلى ساحة الحياة، ومن نهوض المسلمين أمام مَنّ أذلّهم واستعمرهم وسيطر على مقدراتهم. فخطّطوا مستخدمين كل غرف أفكارهم، و وسائل إعلامهم وأجهزة استخباراتهم ليحجّموا الثورة وليبدّدوا الآمال ويثيروا العصبية الطائفية والقومية، وما الحرب التي شنها نظام صدام على الجمهورية الإسلامية سوى واحدة من تلك المحاولات، وما الشعار الذي رُفِع في تلك الحرب وهو القضاء على «الفرس المجوس»!! سوى إنه أريد لتلك الحرب إثارة العصبية القومية وكأنها حرب بين العرب والفرس، وإثارة العصبية الطائفية وكأنها حرب بين السنة والشيعة.

طبعًا شاء الله أن يبيّن للعالم زيف هذه الشعارات خاصة بعد أن شنّ نظام صدام حربه على الكويت. لكن الدرس يجب أن يبقى قائمًا في الأذهان وهو أن كل فرصة تتاح للعالم الإسلامي كي يتعالى فيها على العصبية القومية والطائفية سيواجه مكرًا استكباريًا لإعادة هذه العصبية ولإثارة النزاعات، ولكن: P وَيَمَكُرُونَ وَيَمَكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ 0.

نبارك للأمة الإسلامية هذه الذكرى.. ذكرى عشرة الفجر، ونرجو الله سبحانه أن يوفقنا جميعًا لرؤية صحيحة وبصيرة لا تعثرها شائبة لاستخلاص الدروس من هذه الذكرى لما ينفع واقع أمتنا ومستقبلها.

المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

الشؤون الدولية